Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

العدد (٩٨) المجلد (٢) كانون الأول ٢٠٢٣

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

الزمن السردي في رواية (بحر ازرق.. قمر ابيض) لحسن البحار

غسان عزيز رشيد مصطفى الطائي

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الصرفة /قسم الكيمياء

Email: Ghassanaziz1966@gmail.com

Published:1-12-2023

Keywords السرد، الرواية، الزمن، الاسترجاع، الحدث.

Abstract

It's time which determines the novel as well as its form which is closely linked to the treatment of the element of time.

Time has self-going presence that can be easily drived from the text as in the case of studying the element of the character, or the other things that represent a limited space. The change of time is rather important in the structure of the novel.andp therefore he has a free period of time in the narrative construction. I enjoy identifying the call to the sciences of joint pain because of its presentation in the narration of the novelist Jalil, Toulon for the lovers of Laman, who does not age for a day or a day, but rather with the generations. The traditional story was a natural linear time, while the modern story is eternal, so we did not distinguish the first from the second, the events that occurred according to a logical chronological sequence, which deprived it of the possibility of conquest, but the second was full of time, because the narrators were lazy in dealing with time and did not enter into it with its linguistic interlude. Al-Sariha. We will try to talk about all these things in the world in different ways and forms.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص :

الزمن هو من يحدد طبيعة الرواية وشكلها، وشكل الرواية يرتبط ارتباطا وثيقا بمعالجة عنصر الزمن، وليس للزمن وجود مستقل نستخرجه من النصوص كما في حالة دراسة الشخصية أو الأشياء التي تمثل حيزًا محددا، وتقلبات الزمن هو أساس مهم من الأسس التي تنبني عليها الرواية، ولذا فقد حظي بأهمية كبيرة في البناء الروائي . ولقد اهتمت الدراسات الحديثة بموضوع الزمن لما له من أهمية في السرد الروائي، ذلك لأن الزمن لا يهرم ولا يموت بل يستمر مع الأجيال . والقصة التقليدية كانت توظف زمنًا خطيًا طبيعيا، في حين توظف الحديثة زمنا ابداعيا، فكان ما يميز الأولى عن الثانية الأحداث المحكية آنيا وفقا لتسلسلها الزمني المنطقي، والذي حرمها من فاعلية الانفتاح، أما الثانية فيتلون الزمن فيها، اذ أصبح الرواة يتلاعبون في التعامل مع الزمن، فلا يعبرون عنه بأدواته النحوية الصريحة. كل هذه الأمور الخاصة بالزمن بأنواعه وتشكلاته، سنحاول الحديث عنها في هذه المقاربة النقدية في عمل سردي حداثي للروائي حسن البحار وروايته الموسومة (بحر ازرق.. قمر ابيض) بنوع من التفصيل، عبر فقرات تدرس حركة الزمن داخل الأحداث ، وتفاعلاتها مع السرد.

المقدمة:

يعد الزمن من ابرز العناصر الفعالة في النص السردي, ولا يمكن التغني عنه في بناء الاحداث السردية, ودراسة الزمن السردي (هي التي تكشف للقارئ حركة الزمن التي يمكن من خلالها الوقوف على كيفية اشتغال الزمن في العمل القصصي)[١], ولا يكتب اي نص قصصي دونه (اذ ان الاشارات الزمنية المبثوثة في أي نص سردي, تشترك وتتفاعل مع العناصر السردية جميعا, مؤثرا فيها منعكسا عليها, فالزمن حقيقة مجردة لا تظهر الا من خلال مفعولها على العناصر الاخرى)[٢].

ان وجود الزمن في السرد حتمي, وهذه الحتمية, هي التي تجعل من الزمنية امرا واقعا في السرد,(إذ أن بالإمكان رواية قصة من دون تحديد المكان الذي تدور فيه الاحداث واحتمالية اهمال العنصر الزمني في النص السردي الذي تنتظم بوساطتها العملية السردية)[٣].

ويرتبط الزمن السردي بالعناصر الأخرى ارتباطا وثيقا, ليتشكل العمل القصصي الفني بوشائج مرتبطة بعضها ببعض في الجوهر، ولا يمكننا تفضيل إحداهما على الأخرى, فلكل دوره وفاعليته في مجمل النص,

ويرى (جيرار جينيت)انه (من الممكن ان نقص الحكاية من دون تعيين مكان الحدث, ولو كان بعيدا الى المكان الذي نرويها فيه, بينما قد يستحيل علينا الا ان نحدد زمنها بالنسبة الى زمن فعل السرد, لان علينا روايتها اما بزمن الحاضر, واما بزمن المستقبل, وربما بسبب ذلك كان تعيين زمن السرد اهم من تعيين مكانه)[٤].

الترتيب الزمني:

ليس ضرورة-من ناحية البناء- ان يطابق تتابع الأحداث في رواية او قصة ما, مع الترتيب الطبيعي لإحداثها, كما يفترض انها جرت فعلا فيه، بالنسبة للروايات الواقعية التي في الكثير منها اشتغلت على

ترتيب طبيعي، او خلل منطقي, فان الواقع الذي تحدث فيه القصة يقع في زمن واحد, ولابد ان تترتب الازمان تتابعيا, إذ أن طبيعة الكتابة تفرض ذلك.

ما دام الروائي لا يستطيع حتما ان يروي عددا من الوقائع في الآن, لهذا فإن (التطابق بين الزمن السردي وزمن القصة المسرودة لا نجد له مثالا الا في بعض الحكايات القصصية العجائبية, على شرط ان تكون احداثها متتابعة وليست متداخلة)[٥].

ان لجيرار جينيت الجهد الاعظم في دراسة الزمن في الخطاب الروائي, والذي استفاد من اراء المدرسة الشكلانية, ويتضح عمله في كتاب (الخطاب الحكاية) فقد فرق بين زمن القصة وزمن الحكاية اذ يقول: (الحكاية المقطوعة الزمنية مرتين: هناك زمن الشيء المروي وزمن الحكاية (الزمن المدلول وزمن الدال) وهذه الثنائية لا تجعل الالتواءات الزمنية كلها- التي من المبتذل بيانها في الحكايات- محكمة فحسب (ثلاث سنوات من حياة البطل ملخصة في جملتين من الرواية) بل الأهم إنها تدعونا لملاحظة ان احدى وظائف الحكاية هي ادغام زمن في آخر)[٦].

ان تقارب الزمن الروائي في التشكيل والرؤية, لا يلغي الاختلاف بين الزمنين, فالزمن الروائي ليس زمنا حقيقيا واقعيا، انما هو زمن تكثيف وحذف الكثير, وثقافات يستعملها الروائي لتجاوز التسلسل الزمني الواقعي التقليدي, انه زمن مرن يتحرك فيه الروائي متحررا من قيوده, فهو: (الخالق لزمنه الروائي المُشكِّل لكل بنيته الروائية, لذلك يعالج زمن الحدث احيانا, اما تطويل شديد او تقصير, او بتلخيص حسب معطيات النص)[٧],وفي الرواية التقليدية اهتم الكتاب في بناء الشخصية الروائية بزمنها الخارجي من حيث جوّها وحركة احداثها, وعلاقات شخصياتها في الزمن الحاضر, كزمن سردي واقعي.

ورواية حسن البحار مدار بحثنا, هي من الروايات الواقعية بزمنها الخارجي, اذ تكونت من تسلسل زمني، يتكون عبر عدة رحلات لبحار على متن سفن مسافرة في حيز بين السماء والبحر, تنقل الكاتب من دولة إلى اخرى, إبحار في دنيا السرد ممزوجة بعواطف انسان يعبر عن تجارب عاطفية عاشها عبر رحلاته, فنحن امام ادب رحلات مغاير لبحار معاصر, مرة يعيش في حيز المراهقة والحب العميق, واخرى اعترافات وسيرة ذاتية ومقارنات نفسية بين الوطن والبلدان الأخرى, صانعا من كل ذلك زمكانا سرديا بسيطا, ليتوالى السرد بعد ذلك لربط المشاعر (بأحداث السفر في الامكنة عبر زمن متسلسل)[٨].

يقدم لنا (حسن البحار) سيرة جديدة عن سياحة بحرية انيقة استفاد الكاتب من مرجعياته العلمية والمهنية, وقدم لنا منجزا من النوع الابداعي الذي غاب بعيدا في اذهان القراء.. (كاتب رحلات) في لغة متميزة بخصوصية في البناء الجملي السلس, مع كسر لبعض قواعد البناء التقليدي للجملة العربية, وبعنوان مباشر لا يحمل مجازات ودلالات سينمائية مثيرة, وبنسق بسيط غير متشظ ولا معقد, واماكن طبيعية لا تحتاج الى مجهود قرائي او ذهني... وعليه كانت دراستنا لزمن هذه الرواية, يتعلق ببطل السرد الذي كان على متن السفينة القبطان (سي) , والأزمنة المنوّعة داخل مكان متحرك بين البلدان التي زارها وسرد مظاهرها وعشق نسائها... وهو سارد مشارك عليم, يبوح من خلال السرد عن جانب كبير من شخصية الذاتية بكل صدق وعفوية.

يقول في مقدمة الرواية:

(في تلك الحقبة من حياتي وقبل ان يحدث اي شـــيء ما, كنت لا اعرف معنى الاحســـاس بالوقت ولا التوجد في البعد, بالكاد اغفو مع وسادة ايامي, واستيقظ كسولا ناعس العينين على شباكي تتزاحم الوان الصباح. يسرقني الوقت واسرقه ما لا تسكنني الرهبة عند الرغبة الجامحة في الحاجة الى القفز راكبا غفلي)[٩].

ومن البداية نلحظ اسلوب الزمن فيها يختلف من الروايات الكلاسيكية التي كانت تبدأ بوصف الأمكنة والأشخاص وتمهد للمشاهد والأحداث, إذ الرواية الحديثة لا تخضع لاطارات زمنية معينة وجاهزة، بل لكل كاتب اسلوبه الابداعي الذي يختص فيه, إذ أن (البحار) بدأ الرواية بحديث نفسي (مونولوج), ومن ثم يبدأ قصته حسب اختياره الخاص لاحداثها.

وفي نص (نسيوس) يقول: (في الصباح كان الجو باردا شبه غائم... لم تمض حوالي ساعة تقريبا حتى انزلت السماء من غيومها السوداء جيشا من المطر، استمر الهطول حتى الظهيرة)[١٠].

الزمن النفسي:

وهذا الزمن يختلف جذريا عن الزمن الطبيعي المحدد بالســـاعات والايام وهكذا... وهكذا يمكن تحديده عبر (ســـرعته وبطئه عبر اللغة التي تعبر عن الحياة الداخلية للشـــخصـــية, فالزمن مثلا يكون طويلا وقاسيا حين تكون الشخصية حزينة, ولا تشعر بمرور الزمن حين تكون سعيدة, فحركة السرد في سرعتها او في بطئها في مثل هذا النوع انما تتحكم فيه الاحاسيس الشخصية)[١١].

أي أن البعد الزمني هنا مرتبط بتقلبات الشخصية داخل السرد, جنوحها الى الحزن او الفرح, إذ أن ذات الشخصية تكون في العبارة، ويفقد الزمن حينها بعده الموضوعي, ويتداخل مع الحياة النفسية لها.

فبالامكان الشعور بحركة الزمن النفسي لدى (البحار) , عندما يروي قلقه المستمر من ساعات الانتظار والتشخيص المستمر بين ما يرغبه وما تفرضه عليه وظيفته في التنقل وعدم التشجيع بسحر المكان واحاسيس الحب ل(ريتا).. يقول في نص (رغبات مكبوتة):

ريتا تحبني!

تخاف علي لامني...

يا الهي ما هذا؟ امقدار علي هكذا تكون الاقدار وتعاكس افراحي؟

ام هي الحياة كما قيل عنها حين تنزل بالهم لا تنزله فرادى؟

قدري.. لا ادري ما قدري؟

قلبي عطشان وانا النهر!

اليأس العائد الى صدري بقوة صار مشكلة بحد ذاته, يؤرقني ويجعل مني منعزلا ادور في دوامة اسئلة لا تنتهي.

طاف في ذهني بريق امل, قرار بدا لي هذا لحل, لكن اجلت الشروع به لغاية وصولي الى الارض. [١٢]

يشعر الروائي (الراوي), بحزن داخلي يتلجلج في صدره وهو تواق لحبيبة مخلصة, ولكنه لا يستطيع المكوث فيها ابدا... بل سينتهي ذلك بمجرد خروجه من (سنغافورة).. هذا الهاجس النفسي ليس فيه ايق اشارة الى الوقت, بل ان الوقت لدى الراوي ليس ذا قيمة بقدر ما ينقذه مما فيه من يأس وقلق... بمعنى ان(علاقة القصة بالزمن علاقة مزدوجة فالقصة تصاغ في داخل الزمن, والزمن يصاغ في داخل القصة)[١٣]

ويذهب الزمن عند(البحار) الى ابعد من ذلك في حيز الفرح والحبور في لقاء (ريتا)... وهو ما يشعف جوانح القبطان (سي) العاشق المغرم بقوة, فيقول في نص (بقيت اتأمل وجهها بيدي, يؤلمني لون القمر الابيض الملصق في خديها ثورة تتجاوز امكانيات تربيتي, تنقلني عيناها الى حيث المرافئ الكونية, تشعرني بجمال الحياة وزهو شبابي, كنت اسأل نفسي في تلك اللحظة عن شيء حاسم سأفعله, لكن حركة امواج عينيها المفاجئة دفعت شفتيها الى الابتسامة في وجهي, كانت لها الف حكاية وحكاية, القت في رأسي البلل الذي حرك في نفسي مشاعر مرحب تجعلنا نتخشب بمكاننا ولا نعرف سبب العجز الذي يأتي ليس بأوانه)[١٤].

هذه الزمنية المفرطة في الرغبة العارمة في الحب, فعل رفض لحركة الزمن الى الامام, بل محاولة لايقاضه وكسر نمطيته، إذ يحاول رسم مستقبل هذه العلاقة بعيدا عن عالمه الخارجي الذي يحققه ويحقق ايضا عالمه القديم وماضيه الذي لا يريدأن يأتي على ذكرة...فهو في نظره نقطة بداية لعالم مليء بالأقمار البيضاء. فهي – ريتا- قطب صراعه النفسي وحركته الذاتية العميقة.

و لكل قصة جيدة ترتيبها وشكلها الزمني الخاص بها (وتستمد اصالتها وقيمها من كفاية تعبيرها وايصالها الى ذهن المتلقي, وجميع طرائق القصة وادواتها في التحليل الاخير الى المعالجة التي توليها الاصالة الزمن وقيمة, وكيف نضع الواحدة في مواجهة الاخرى)[١٥].

والزمن في السرد منظومة العلاقات المتتابعة لكل حدث أي انه يدخل في صلب الصراع, وهذه العلاقة تتمثل بعلاقة الجسد بالروح فلا يمكن ان ينفصلان, فياتي الزمن السردي بوصفه عنصرا من العناصر الأساس الذي تقوم عليه نصوص القص, وبدوره سيكون مؤثرا في العناصر الاخرى كالمكان والشخصيات والحوار. ومن خلال قراءة نصوص (بحر ازرق .. قمر ابيض) لحسن البحار رصدنا انواعا من المفارقات السردية، وكان اهمها تقانة الاسترجاع, وتقانة الاستباق.،فضلا عن تقانة تسريع السرد.

الاسترجاع والاستذكار:

ويقصد به (ذكر حدث لاحق سابق للنقطة التي وصل اليها السرد)[١٦], (وهو اكثر توافرا، اذ يروي فيما بعد ما قد وقع من قبل)[١٧], بمعنى ان المقاطع الاسترجاعية تخرج عن الحاضر لندخل بفترة سابقة لبداية السرد, تسهم في اضاءة النص المروي وتحقق في الوقت ذاته الغايات الفنية مثل التشويق واستدراج القارئ.

الاسترجاع انواع:

١-الاسترجاع الخارجي:

كما اسلفنا فان الاسترجاع عودة بالاحداث الى ما قبل بداية سردها. (لملئ فراغات تساعد على فهم مسارات الاحداث)[١٨]. وفي هذا النوع من الاسترجاع الخارجي (الذي ربما يتداخل مع الحكايات الاصلية, اذن وضيفتها هي تكملة القارئ ايضا عن هذه الحادثة او تلك)[١٩].

وقد مارس (البحار) هذه الاسترجاعات كثيرا, عندما يتذكر احداث ماضية قبل صعوده ظهر السفينة, وابحاره المتكرر في الخلجان والمحيطات بين سماء صافية وبحر فسيح حجم همومه التي يحملها منذ الطفولة الى الان، يقول في نص (مسافات صمت) : (مرة اخرى تعبت من لهاث السؤال الذي بات عصيا على قلبي ان ياتي بجواب, انتهيت مثل الهابطين من عروشهم باستسلام, لزمن طويل لم الاحظ طعم الغربة في عقلي حتى طرأ لي هذا التفسير الذي اتى فجأة! اذ لم يكن بالامكان تحقيق احلامي, لكن كان بالإمكان العيش في الساعة التي بيدي كما تقول جدتي)[٢٠]. يقول في نص (الساعة الخامسة) :

(كان الوقت ليلا عندما كنت انظر الى السواحل البرتغالية البعيدة، بدت وكانها خط اسود ينتهي بنهاية النظر الى لشبونة بقمم جبالها المتوهجة كالسحر بضياء احمر، لا أعرف سبب هذا التوهّج، ولا أريد أن أسأل، كنت مستكتعا بالمنظر الذي كنس همًّا كان جاثما على صدري مذ لحظة وداع (ريتا) عند اخر اتصال معها هناك في ايطاليا)١.

اذن يعمد القاص على اعطاء رؤيته الآنية في ذكرياته, ويغضي الكثير منها, فيرسل رسالة الى القارئ انه مندمج في المكان الاصل, وذكر العمّة دليل التصاقه اجتماعيا في محيط العائلة الاولى رغم ما طرأ على شخصيته من قناعات اخرى مع تقدم العمر وتطور الافكار من خلال سفره المتكرر.

ويسترجع ايضا في نص (قرية ساترن) :

(يا الهي, سيطرت على نفسي حالة من السكون والمتعة, شعرت بهما انني بمكان يشبه الخرافة, حتى ظهرت امامي فجأة صورة. شارعنا الطيني المؤدي الى بيتنا هناك في مدينتي على الرغم من شح مظاهر الترف فيها الا انها مازالت عزيزة في نفسي)٢

استخدام القاص الاسترجاع هنا بوصفه وقفة تأملية تريح القارئ اولاً, وثانيا ان وصفه لمنطقة ولادته ونشأته الاولى انها كانت على هذا الحال البائس, لكنها مكانا عزيزا على قلبه عندما اصبح في طي الذكريات, انه المكان الواقعي والثقافي الذي ارتبط به (البحار), وهو العالم الحقيقي الذي ينطلق منه السرد بهذه القيم الجمالية.

ولذا فان الاسترجاع الخارجي يعطي الاضاءة للنص, ويلونه بصفة التشويق, فضلا عن الصفة الجمالية, وكذلك المساعدة على ربط الاحداث ببعضها وادامة زخم الفكرة الى المستقبل من النص السردي.

٢- الاسترجاع الداخلي:

وهو الاسترجاع (الذي بعيد الاحداث الى ماض ملاصق لبداية القصة قد تأخر تقديمه ويعمل على ربط حادثة بسلسلة من الحوادث السالفة المماثلة لها لم تذكر في النص القصصي)[٢١].

ومن الامثلة على هذا الاسترجاع ذكر القاص لحبيبته (ريتا) في عدة مواضع بعد ان غادر ساحل (سنغافورة), وترجع قوة الاستذكار هذه الى رغبة الراوي (سي) بان لا يرتكب اي خطأ في تفكيره بها، من اجل الحفاظ على مستوى العلاقة الحميمية التي تربطهما، اذ يقول في نص (مسافات صمت):

"بدا رحيق الحب مرأ على شفتي التي كانت في اشتياق للأرض والشجر ولوجهها الضاحك عند وجهي من (ريتا) الاسم الذي طالما بحثت عنه في قواميس الاسماء, تلك التي علمتني كيف اضحك وانا اتسلق التلة مثل الاطفال اكركر, ارسم القمر الابيض والنجوم على الساحل, او حين اكون جالسا في الكازينو منتصبا امام أعين الناظرين في حضورها معي".

الاستباق:

ثقافة من ثقافات المفارقة السردية, وهو عكس الاسترجاع, اذ (يقوم بقلب تسلسل الاحداث عبر تقديم متواليات حكائية محل اخرى سابقة عليه في الحدث)[٢٢], اي ان الراوي يقوم بالتنبؤ المستقبلي لحدث حكائي سيأتي لاحقا, وهو ايضا يسمى الاستشراف كتصوير الاشياء قبل حدوثها ، وترى (سيزا قاسم) "ان الاسترجاع، فهو يمثل العودة لبعض الاحداث الماضية وطرحها في وقت لاحق من حدوثها"[٢٣].

والوظيفة المهمة التي يقوم بها الاستشراف (الاستباق), (وهو مجرد استباق زمني الغرض منه التطلع الى ما هو متوقع او محتمل الحدوث في العالم المحلي, وهذه هي الوظيفة الاصلية والاساسية للاستشراف)[٢٤].

واول ما يطلعنا الروائي بالاستباق يتمثل في نصه الاول (ريتا) قائلا: (لا اعرف سبب تفكيري المفاجئ بطريقة التأثير فيها, حتى اتمكن من ابقائها معي اطول وقت ممكن حاولت عن قصد الاطالة في الحديث معها, حين قلت بطريقة مفصلة كيف وقع الاختيار عليه من بين غفير من سواق الدراجات النارية الذين كانوا يصطفون على الرصيف ينتظرون ارزاقهم في بوابة الميناء)[٢٥].

انه يمهد للتأثير على (ريتا), ويقدم احدى محاولاته للتأثير عليها, فهو يستشرف امكانية التأثير عليها والعيش معها اطول وقت ممكن..

ويقول في نص (الساعة الخامسة) :.

اليوم تدخل السنة الجديدة سنسعد بها ونحن نتمنى، اريد لحظة تحرك عقارب الساعة نحو الثانية عشرة والوقوف امام البحر، عسى ان تتحقق امنية طالما حلمتُ بها، من غيرأن أسأل، من دون تردد)١.

أمنيات علّها تتحقق يحاول عبرها سبق المشاهد لاضافة مشاهد ذهنية قادرة على شحن روح المفارق للحبيبة التي لا تغيب عن خاطر العاشق.. انه يعيش اللحظة هكذا كما قرر لنفسه، من اول الرواية، فالاستباق يؤسس لمشاهد خيالية اخرى، طريقة لاقناع الذات ان القادم سيكون كما يتمنى الراوي.

تيار الوعي / الاسترجاع داخل الحوار

يطلق مصطلح "الوعي من وجهين هما: الأول أن كلمة الوعي مثلها مثل كلمة تيار كلمة مجازية، والثاني أن يستخدم للدلالة على منهج في تقدم الجوانب الذهنية للشخصية القصصية في داخل العمل القصصي"[٢٦] وتكون فيه مادة الوعي غير منظمة بالمنطق العام، إذ" تُخلي الأفكار المنطقية الطريق

للأفكار التي تُبنى على التداعي، وهو ذو منطق داخلي يكون مبنى الجمل فيه غير منظم، فيفسح المجال أمام الجمل وأنصافها غير المترابطة، وتتفتت الكلمات والألفاظ وتتشكل تشكيلاً جديدا "[٢٧]تختصر الكلمات المتكررة) ، وبأت هذا النمط من الحوار في قصص تيار الوعي للتركيز أساسًا على ارتياد مستويات ما قبل الكلام من الوعي للكشف عن الكيان النفسي للشخصيات القصصية[٢٨]

يعتمد هذا الحوار على كسر التسلسل الزمني للأحداث وإبراز الصور المتداعية التي تنهمر من ذهن الشخصية الروائية بقوة فياضة لا تكاد تتوقف ، إذ يهدف إلى "نقل إنسيابية ولا شكلية الفكر الذي يتعذر الإفصاح عنه بالكلام الإعتيادي وكذلك إختلاط. الوعي واللاوعي ببعضهما قبل مرحلة الكلام وإتخاذ الشكل المنطقي، ومن غير بداية أو نهاية." ويستمد هذا الحوار طاقته التعبيرية من قدرة الراوي على تسجيل الجو الباطني لشخصياته وهي تؤدي مشهدًا معينًا حتى يستطع الراوي استبطان الذات ورصد ومضات الوعي وتدفقاته إزاء أي موقف في الحياة استدعاء وتصورا، وتركيبا، فيبث أفكار الشخصية أمام المتلقي وتصوراته الفكرية والنفسية وما يجول في باطنها، ليعطي للقارئ معلومات يمكنه فيها أن يدرك باطنها وما يدور في ذاتها تجاه الأحداث ليكون صورة نهاية.[٢٩]"

بمعني ان تيار الوعي يكسر نمطية الزمن وينقل الحوار داخل الزمن الى حوار مكثف، ينهمر بقوة نحو نهايات يريدها الكاتب في هذه الرواية باعتباره راويا عليما.. يقول في نص الساعة الخامسة.:

"صمتٌ تدفق في داخلي متصاعدا، يغط فيه خافقي ولا اعرف مكانه، خرجنا من المرقص تقريبا عند الساعة الثانية والنصف صباحا، وقفنا على الرصيف، عانقتني وقبلتني ثم وشوشت في اذني :_لا تنسى، موعدنا الخامسة،

هززت رأسي اعلن موافقتي وفي داخلي رفض لم استطع كشفه حتى بعد ابتعادها عني. كانت تضيع بين الناس كضياع حبة سكر في بحر.."

"الى ان يقول:

لا اعرف ماذا اصابني غير انني اتذكر جيدا أني سالته:

متى الابحار!؟

_الساعة الخامسة.[٣٠] "

فتتداعى هذه الأفكار جملة واحدة أمام المتلقي (الحبيبة)، (وقفة الرصيف)، (لا اعرف ماذا اصابني) بتراتبية تبدوا غير منطقية إذ يتم الكسر التسلسلي للأحداث والزمن إذ يبدأ بلحظة الحاضر غير مدلوله للحظة (وقفته على الرصيف) لينتقل بعدها إلى زمن يبدوا متحركا جانيا (الحبيبة)، ثم الإسترجاع إلى زمن ماضي عبر لحظة إستدعاء صورة السفينة والابحار الساعة الخامسة) ثم يرتب للقارئ زمناً ربما يبدو حاضراً مستقبلا عندما ياتي بعبارة (صمت تدفق في داخلي متصاعدا) وتتداعى الأحداث والأزمنة عبر الوعى من دون إنتظام، فالساعة الثالثة كانت موعدا الحبيبة التي استطاع ايهام القارئ بهذه المفارقة الزمنية وهو يستذكرها بتدفق عالٍ.

إذ تتداخل الأزمنة والأحداث فتبدو مادة الوعى عشوائية وأن الشخصية في حالة ارتباك، ودون استقرار فتبرز هذه المشاهد المتداعية دفعة واحدة فتنكشف غير ما يدور في نفسها تجاه الأحداث.. يقول في نص (العاصفة) :

(اتحامل الوقوف، ابحث في داخلي عن قوة تجعلني ألا اخشى هذا الموقف العصيب، لمسافة لا اعرف كم اقدرها، سرت في انحراف مزاجي عجيب غريب، يزداد حدّة كلما تقدمت متعثرا بالوحل، مبتلاً من رأسي حتى قدمي). ٦٣ وهذا ما يعطي صورة واضحة مكتملة للشخصية لدى القارئ، وتتقدمها الجوانب الذهنية عبر قراءتها للجريدة تسبقها تداعي مادة الوعي بمادة اللاوعي بشكل لا منتظم. يبدو على وجه التحديد مدى تشوش فكر هذه الشخصية وحالتها النفسية.

الوقفة

تمثل الوقفة أحد أساليب إبطاء سرعة الزمن السردي,فعبرها يتسع الخطاب ويأخذ مدى أبعد مقابل بطء او توقف الزمن الحكائي فقد استخدم مصطلح (وقفة في مبحث السرعة التي هي مقولة زمنية تحيل على التغيرات التي تطرأ على نسق السرد وإيقاعه.. ويشير مصطلح الوقفة إلى مواضع في القصة يتعطل فيها السرد وتعلق الحكاية ليفسح في المجال للوصف)١ وهنا لابد من الإشارة إلى قضية جوهرية وهي إن الوقفة شديدة الصلة بالسرد، من ناحية الوظيفة في اشتغالاتها النصية في تكوين البنى السردية إلا إذا كانت ذات لمحة وصفية ,إذ يرى حسن بحراوي أن لابد من التمييز(بين نوعين من الوقفات الوصفية :الوقفة التي ترتبط بلحظة معينة من القصة حيث يكون الوصف توقفا أمام شيء أو عرض يتوافق مع توقف تأملي للبطل نفسه, وبين الوقفة الوصفية الخارجة عن زمن القصة والتي تشبه إلى حد ما محطات استراحة يستعيد فيها السرد أنفاسه)٢

١- بنية النص السردي, حميد الحميداني, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط١, ١٩٩٣, ٩٢

٢- بنية الشكل الروائي (القضاء, الزمن, الشخصية), حسن بحراوي ,المركز الثقافي العربي,١ط, بيروت, دار البيضاء, ١٩٩٠, ١٩

ويعتقد الباحث أن أحد الثغرات في هذا الرأي السابق إن الوقفة التأملية الواصفة لا تختص بالابطال وحدهم فهي أداة وتقانة كتابية يخلقها المؤلف متى ما أراد، او أين أراد وعلى لسان أية شخصية، او أي مستوى من مستوياتها , وبناء على رأي حسن بحراوي نستطيع أن نميز بين نوعين من الوقفات الوصفية الأول: وصف مجرد لا يمتد ولا يتصل بعوامل السرد الأخرى ولا يرتبط بوشيجة سير الرواية فيقول البطل في نص (نعاس الليل المعتق): : (مدينة جميلة رسمها الخالق على ظهر كوكب الارض، ليعز بها اهلها المختلفين في الاديان والمعتقدات، متحابين يعملون كيد واحدة، لا تشوب حيباتهم شائبة الاختلاف الاثني او الطائفي او غيرهما، انا رضوا بعيشهم ورضيت بهم الدنيا، ثم وسعت لهم من صدرها، لينعموا باقتصاد باهر نتيجة موقعها الجغرافي المهم بوجودها شبه جزيرة يفصلها عن القارة الهندية من الشمال امتدادا خليج (مانار))١ .

اذن هنا الوقفة الوصفية بدأت بالدلالة اللفظية ليتأمل وهي حالة الرؤية المباشرة في الوصف هنا إذ وصف البطل وهو في حالة تأمل عميق لهذه المدينة العامرة بالجمال والعيش الرغيد والخيرات الكثيرة والموقع الجغرافي المهم..وكأنه يلمح الى اوضاع بلداننا المضطربة، فهو يؤدي دور الواصف والمنتقد في الآن. ,فنلحظ توقف مسار الزمن في الحكاية واستمرار حركة الخطاب الروائي، وحُمّل الوصف هنا وظيفة بناء صورة المكان في ذهن المتلقي , بمعنى أن الوقفة هنا تدل على حالة الوصف للمكان الواقعي ، وهو من الأمكنة الطاغية الحضور في هذه الرواية، اذ ينزل إلى خبايا العالم واشكال الامم

يقول الراوي في نص (لحظة تأمل) :

(انتظر مستلقيا على ظهري حتى صرت والموجة العالية وصلا لا عناقا، رأيت الافق خيمة ساكنة صافية بلونها الازرق تغطي فراشا يتموج في وجهها المتلألئ تحت جلدي الصحراوي الذي افزعته قطرات ماء كانت مالحة)٢

١-الرواية :١٠٤

٢- حسن البحراوي: مصدر سابق ١٠١

٣- الرواية : ١٠١

هذه الوقفة هي امتداد للوقفة التي تصف حالة من حالات البطل، والتي سبقتها، لكننا مع ذلك نجد دائما هناك قرائن التي تؤكد الوصف المتكون عبر الرؤيا العينية، فهو يقول:رأيت الافق أي دلالة على النظر، فالوصف هنا تكوّن من رؤية الشيء،

ومن ثم وصفه ورسمه في صورة مكتوبة في ذهن المتلقي, ويستمر في الوصف ليهيء القارئ الى المشهد الاخر ليعود الى مواصلة رحلته الطويلة مع البحر وتاملات عاشق يعد نفسه مشردا بعد فراق (ريتا) محور الرواية وبؤرتها الحقيقية.

نتائج البحث

١- يرتبط الزمن السـردي في رواية (بحر ازرق.. قمر ابيض) لحسـن البحار بالعناصـر الاخرى ارتباطا وثيقا, ليتشكل العمل القصصي الفني بوشائج مرتبطة بعضها ببعض في الجوهر.... ولا يمكننا تفضيل احدهما على الاخرى, فلكل دوره وفاعليته في جمل النص, ويعود اهتمامنا بالزمن الى مقولات اساسية هي ان اشكالية الادب القصصي عموما ثيمتها الحقيقية الا انها اشكاليات زمنية,

٢-الرواية تؤسـس لأسـلوب جديد في أدب الرحلات يقوم على الربط بين السـرد الروائي والوقائع التاريخية بتوظيف التنوعات الجغرافية في الرواية، وقد اسـتفاد حسـن البحار من خبراته العلمية والمهنية في تقديم هذا النوع من الكتابة الإبداعية، واسـتطاع أن يجعل البِحار والسـفن جزءًا من البناء السردي المتناسق والمتكامل مع واقع الأحداث حيث عمد أن تكون هذه الرحلات نسق زمني واضح و مضمر داخل النص ولم يُشِر إليها بشكل مباشر فتنحى الرؤيا منحى آخر لا يخدم النص ويكون التناول مهنيًا أكثر منه إبداعيًا. فأنتج لونًا مميزًا من ألوان السرد يتضافر فيه الصنعة الروائية مع الاستكشاف مع الطرح الجديد مع رحلة المتلقي وخروجه من محيطها إلى محيط آخر يستكشف في هيكل جديد في عالم البحار الغريب المليء بالمغامرات والمُحاط بالدهشة والمتعة.

٣-ولا تكتفى الرواية بسـرد الحوادث والحكايات في موانئ العالم البحرية بل تعتمد التصـوير الداخلي للشخصيات والاستباق والاسترجاع والحوارات المحسوبة واستخدام صور الطبيعة الغاضبة أو الهادئة لبناء معادل زمني نفسي لما يجري داخل الشخصية الرئيسة من انفعالات، مع ورسم حوادث حاسمة لاختبار متانة القدرات الروحية للإنسان، فضلاً عن التعريف بالشخصيات السردية التي تتحرك داخل زمن سردي ثابت لكنه متعدد الاشكال..

٤- ان من أهم أسـاليب تيار الوعي هو ما يصـطلح عليه (دراما الذهن) اذ يمثل الادراك أو والوعي الذي يخص واحدة أو أكثر من الشخصيات في اللحظة نفسها التي تحدث فيها بالنسبة لهذا الوعي، أي عرض ما يدور في ذهن الشخصية ووعيها كما في العرض المشهدي المسرحي، اذن ابرز ما حرص وأكد عليه نقاد هذه المدرسـة بدءا من الذهن ان أي اللحظة الزمنية في تيار الوعي التي تتمظهر فيها الشـخصـية انما يحصـل خلال تلك اللحظة الانية دراما من نوع خاص تتعلق بالذهن وتتمظهر احياناً بصراع داخلي للشخصية مع ذاتها وذكرياتها، او مع اخر خفيٌ غير موجود، الذي يعكس ويعرض ما يدور في ذهن الشخصية كمرآة عاكسة، فيتم على أساسها عكس وعي الشخصيات بشكل مباشر، كما في العروض المسرحية، وكأنها تجسيد حي يحمل الدقة في التصـوير والمباشـرة في نقل أكبر كم من الإحداث التي تتخذ صفة التقرير والوصف.

قائمة المصادر

١.اصدارات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, بغداد, ط٢, ص٥ ,٢٠٢٠

٢.غائب طعمه روائيا, فاطمة عيسى جاسم, دراسة فنية, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٠٤

٣.البينة والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصية (الوعول), عبد الفتاح ابراهيم, الدار التونسية للنشر, تونس, ١٩٨٦

٤.الزمن في الادب, هانزميرهوف, ترجمة, د. أسعد رزوق, مطابع كل العرب, القاهرة, ١٩٧٢

٥.الحوار القصصي :تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام نوري،، دراسات ادبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩

٦.الزمن في الرواية العربية, مها حسن القصراوي, المؤسسة العربية للدراسات النشر والتوزيع, الاردن, ط١, ٢٠٠٤

٧.الزمن في الرواية, أ. مندلاو, ترجمة: بكر عباس, مراجعة: احسان عباس, دار صادر, بيروت, ط١, ١٩٩٧

٨.الشعرية, تودوروف, ترجمة: شكري المجذوب ورجاء بن سلامة, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء, ط١، ١٩٩٧

٩.بنية الشكل الروائي (القضاء, الزمن, الشخصية), حسن بحراوي ,المركز الثقافي العربي,١ط, بيروت, دار البيضاء, ١٩٩٠

١٠. بناء الراوية, دراسة مقارنة في الثلاثية نجيب محفوظ, نزار احمد قاسم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة١٩٨٤

١١. بنية النص السردي, حميد الحميداني, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط١, ١٩٩٣

١٢. تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، محمود غنايم، دار الجيل، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣:

١٣. تحليل الخطاب الروائي(القص, السرد، النثر) سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي,ط١, بيروت, الدار البيضاء, ١٩٨٩

١٤. خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينيت, ت: محمد معتصـــم, عبد الجليل الازدي, عمر حلبي المجلس الاعلى للثقافة, القاهرة, ط٢, ١٩٩٧

١٥. رواية بحر ازرق.. قمر ابيض, حسن البحار, منشورات احمد المالكي, من

١٦. معجم مصطلحاته نعت الرواية (عربي, انكليزي, فرنسي),د. لطيف زيتوني, مكتبة لبنان ناشرون, دار النهار للنشر, بيروت, لبنان ط١, ٢٠٠٢

_المصادر الألكترونية

١ _ مقال: الابحار في دنيا السرد في رواية بحر ازرق.. قمر ابيض, الانترنت w.w.w@iragicp. Com

_الدوريات

١ _ الزمان والمكان في قصة العهد القديم, احمد عبد اللطيف حماده, مجلة عالم الفكر, المجلد (١٦), العدد(٣) لسنة ١٩٨٥

الهوامش:

[١] بينية الشكل الروائي (القضاء, الزمن, الشخصية), حسن بحراوي ,المركز الثقافي العربي,١ط, بيروت, دار البيضاء, ١٩٩٠: ١١٣

[٢] بناء الروائي, دراسة مقارنة في الثلاثية نجيب محفوظ, نزار احمد قاسم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة١٩٨٤ , ٢٧.

[٣] بنظر: حسن بحراوي, المصدر السابق: ١١٧

[٤] معجم مصطلحاته نعت الرواية (عربي, انكليزي, فرنسي),د. لطيف زيتوني, مكتبة لبنان ناشرون, دار النهار للنشر, بيروت, لبنان ط١, ٢٠٠٢ ١٠٣٠.

[٥] بينة النص السردي, حميد الحميداني, المركز الثقافي العربي, بيروت, ط١, ١٩٩٣, ص٧٣.

[٦] خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرار جينيت, ت: محمد معتصـــم, عبد الجليل الازدي, عمر حلبي المجلس الاعلى للثقافة, القاهرة, ط٢, ١٩٩٧, ٤٥.

[٧] الزمن في الرواية العربية, مها حسن القصراوي, المؤسسة العربية للدراسات النشر والتوزيع, الاردن, ط١, ٢٠٠٤, ٣٩.

[٨] مقال: الابحار في دنيا السرد في رواية بحر ازرق.. قمر ابيض, الانترنت www.@iragicp. com

[٩] رواية بحر ازرق.. قمر ابيض, حسن البحار, منشورات احمد المالكي, من اصدارات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق, بغداد, ط , ٢٠٢٠ ,ص٥

[١٠] نفسه: ٥٥.

[١١] غائب طعمه روائيا, فاطمة عيسى جاسم, دراسة فنية, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ٢٠٠٤, ١٣٠.

[١٢] الرواية: ٧١-٧٢.

[١٣] الزمان والمكان في قصـــة العهد القديم, احمد عبد اللطيف حماده, مجلة عالم الفكر, المجلد (١٦), العدد(٣) لســـنة ١٩٨٥ ,ص٦٥ .

[١٤] الرواية: ٥٤.

[١٥] ينظر الزمن في الرواية, أ. مندلاو, ترجمة: بكر عباس, مراجعة: احسان عباس, دار صادر, بيروت, ط١, ١٩٩٧, ٧٥.

[١٦] خطاب الحكاية, جيرار جينيت: بحث في المنهج , ترجمة: مجموعة من النقاد المشروع القومي للترجمة, ط٢, ١٩٩٧: ٥١.

[١٧] الشعرية, تودوروف, ترجمة: شكري المجذوب ورجاء بن سلامة, دار توبقال للنشر, الدار البيضاء, ط١، ١٩٩٧, ٤٨.

[١٨] بنظر: سيزا احمد قاسم: ٤٠.

[١٩] بنظر: البينة والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصية (الوعول), عبد الفتاح ابراهيم, الدار التونسية للنشر, تونس, ١٩٨٦: ١٠٩.

[١] الرواية: ٧٧.

٢ الرواية : ١١٧-١١٨

[٢١] ينظر: تحليل الخطاب الروائي(القص, الســـرد، النثر) ســـعيد يقطين, المركز الثقافي العربي,ط١, بيروت, الدار البيضـــاء, ١٩٨٩: ٧٧-٧٨.

[٢٢] بنية الشكل الروائي, حسن بحراوي: ١٣٢.

[٢٣] بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ,:٥٨.

[٢٤] بنية الشكل الروائي, حسن بحراوي: ١٣٣.

[٢٥] الرواية:١٤.

١ الرواية : ١٣٠

[٢٦] ينظر:تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة، محمود غنايم، دار الجيل، ط٢، القاهرة، ١٩٩٣: ص١٤

[٢٧] نفسه ١٥_ ١٦

[٢٨] الحوار القصصي :تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام نوري،، دراسات ادبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٩: ٦٠

[٢٩] ينظر:الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، مصدر سابق :١١٥

[٣٠] الرواية ص ١٢٦